تعليم الترجمة والترجميّة : المفاهيم والمصطلحات

د. هنري عويس - أ. جينا أبو فاضل - أ.لينا صادر الفغالي

استقلّت مادة الترجمة في أوروبا عن سائر مواد التخصّص الأكاديميّ منذ منتصف القرن الماضي. فقامت معاهد الترجمة أو مدارسها في حرم الجامعات واتجه هذا التخصّص باتجاهين : الترجمة التحريرية والترجمة الفورية. وكان للطلاب أن يلتحقوا بهذا التخصّص فور الانتهاء من القسم الثانويّ، كما هي الحال في باريس، أو بعد الانتهاء من واحدة من الإجازات، كما هي الحال في جينيف. وتبلغ سنوات التخصّص 5 سنوات. أما في الوطن العربيّ، فقد شهدت مصر ولادة مدرسة الألسن. ولابدّ هنا من الإشارة إلى المزج الذي كان قائماً في أذهان الناس على أن كلّ من أتقن لغتين أو أكثر أمسى مترجماً. وبقي هذا المفهوم حتى يومنا، فغالباً ما تُدرّس الترجمة من خلال الإجازة في اللغة الأجنبيّة وآدابها.

إلا أن سنة 1980م غيّرت في مسار تعليم الترجمة عندما تأسّست مدرسة الترجمة بيروت، في جامعة القديس يوسف، موازية في برامجها برامج تعليم هذه المادة المستقلّة في أوروبا، وكانت لها منذ تأسيسها صلات كثيرة واتفاقيات وتبادل خبرات مع بلجيكا وفرنسا وإسبانيا وكندا وإنكلترا [1]. وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى مدرسة الملك فهد العليا في طنجة التي تنحو المنحى نفسه منذ عام 1986م، وتحاول أن تبدّل في مفهوم إعداد المترجمين وتأهيلهم لممارسة المهنة. ويشكّل خريجو مدارس الترجمة ما يُعرف بأهل الاحتراف والتخصّص؛ فالترجمة مهنة وليست خطاباً ثقافياً يمتدح اللغات الأجنبيّة، والمترجم بالتالي يُصبح مترجماً بالإعداد وليس بالفطرة والارتجال.

وما أن ثبّتت الترجمة أقدامها، كتخصّص أكاديميّ مستقل، حتى تنبهت إلى الكمّ الهائل من العلوم الذي يتناول هذا الاختصاص. فالألسنيّة تنظر إليه من زاويتها وتعتبره علماً متفرعاً عنها وتطلق عليه تسمية الألسنية التطبيقيّة. والبلاغة تنظر إليه من زاويتها، وكذلك فقه اللغة والدراسات الاجتماعيّة والنفسيّة والفلسفيّة والدينيّة... إلخ.

في مواجهة هذه العلوم كافة، تصرّف هذا التخصّص بكثير من الدقة واللباقة، فقرّر أن يُحافظ على علاقات وطيدة مع هذه العلوم، من غير أن يُهمل خصوصيّته فيتحوّل من علم متفرّع عن غيره إلى علم قائم بذاته، منضوٍ تحت لواء العلوم الإنسانية. فباتت الترجمية فرعاً "من العلوم الإنسانيّة يهدف إلى دراسة، منهجيّة ومتشبّعة، تطال الظواهر النظريّة والتوصيفيّة والتطبيقيّة في مجالي الترجمة التحريريّة والشفهيّة[2]. و"الترجميّة" مصطلح جديد نسبياً، اقترحته مدرسة الترجمة-بيروت، على قياس "الألسنية" وتعمل به كمعادل للمصطلح الفرنسيّ traductologie، علماً بأن هذا المصطلح الفرنسيّ نشأ عام 1971م، بينما راح المصطلح الإنكليزيّ، يُفتش عن نفسه بين اقتراحات

(*) مدرسة الترجمة بيروت-جامعة القديس يوسف - لبنان

ثلاثة هي: science of translation, translatology, translation studies إلى أن رسا في النهاية على المصطلح translation studies. وقد تبلور مفهوم الترجميّة من خلال مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى وتُعرف بمرحلة التشتت، طغت عليها المراقبة الميدانيّة عندما كان المترجم يورد في مقدمات ترجماته وحواشيها خواطر وانطباعات وشهادات غير منظّمة حول ما قام به. كذلك فعل البستاني مثلاً في مقدمة الإلياذة أو القديس هيرونيموس في ترجمته للكتاب المقدّس أو بلاشير في ترجمته لمعاني القرآن الكريم.

المرحلة الثانية وتُعرف بمرحلة الهيمنة، عندما حاول كلّ علم أن يطوي الترجمة، تحت جناحه راح العلماء غير المترجمين، وهم ينتسبون إلى علوم متنوعة، ينظرون ويبحثون عن أصول الترجمة، كلّ من باب علمه. كذلك فعل جورج مونان مثلاً الذي اعتبر الترجمة علماً متفرعاً عن الألسنيّة.

المرحلة الثالثة وتُعرف بمرحلة اكتشاف الخصوصيّة الذاتيّة، عندما بدأ الترجميّ، وهو الذي يجمع بين شقيّ الممارسة العملية والتفكير النظريّ، يبحث في جذور عمليّة الترجمة وامتداداتها وانعكاساتها. كذلك فعل جان رينيه لادميرال من خلال كتابه " أن تترجم: فرضيّات نظريّة في الترجمة "

[3]Traduire : théorèmes pour la traduction

أما وقد وصلت الترجمة والترجميّة إلى ما وصلتا إليه، فقد بات لزاماً عليهما أن تُتداولا بمفردات خاصّة بهما، على غرار ما يقدّمه الكتاب الذي صدر عن مرجعيتين دوليتين في الترجمة هما: "المؤتمر الدوليّ الدائم للمعاهد الجامعيّة للمترجمين والتراجمة" المعروف بالـ CIUTI و"الفيديراليّة الدوليّة للمترجمين" المعروفة بالـ FIT. وقد صدر هذا الكتاب[4] أصلاً باللغات الأربع الفرنسيّة والإنكليزيّة والإسبانيّة والألمانيّة، وكان لمدرسة الترجمة - بيروت شرف نقله إلى العربيّة.

ويتضمّن الكتاب 200 مفهوم اختارها فريق عمل أوروبيّ- كنديّ على أنها تفي بالمطلوب فتُغني تعليم الترجمة والتفكير في عمليّة الترجمة بأدوات دقيقة تُساعد على توصيف العمليّة والنظر فيها. وقد سلك المؤلّفون في أداء كل مدخل من مداخل هذا الكتاب، المسار التالي وقد تبنيناه كما هو في العربيّة، وعلى سبيل المثال نتوقف عند المدخل العائد إلى مفهوم التعادل ص. 57 من الكتاب (الملحق 1) فنجد:

أولاً: المدخل، ويُقصد به المصطلح الأكثر انتشاراً واستعمالاً أو الذي اعتمده الفريق في اللغة العربيّة كمقابل عربيّ، في حال غياب اللفظة المناسبة.

ثانياً: التحديد، ويتضمّن السّمات الأساسيّة التي تصف المفهوم، كما يُبرز علاقة المفهوم بالمفاهيم الأخرى المنتمية إلى الحقل الفرعيّ نفسه.

ثالثاً: الملاحظات والأمثلة، وهي إنارة لما جاء في التحديد تُساهم في شرحه وفي تقريبه.

رابعاً: الإحالة على المفاهيم المتصلة بالمفهوم المذكور.

وتلتقي هذه المفاهيم، نظراً لصلة القربى القائمة في ما بينها، في أشجار نسب، وتُعيد كل مجموعة إلى حقل انتمائها الأساسيّ. ونتوقف هنا، على سبيل المثال، عند الجدول الذي يجمع المفاهيم الخاصّة بعمليّة الترجمة والوارد في الصفحة 146 من الكتاب (الملحق 2). ونرى، من خلال هذا الجدول، أنّ عمليّة الترجمة تنطلق

من الدليل الألسنيّ، وهو كيان لغويّ مؤلّف من الدال والمدلول معاً. وتكوّن مجموعة الدلائل الألسنيّة النص أو الخطاب، وذلك عندما تتوافر العناصر غير اللغويّة التي تحوط بإصدار القول، أي ما نسميه بالمناسبة. أمّا السياق والمستوى والشبكة المعجميّة فهي عناصر خاصّة بالنص تسهّل عمليّة الترجمة لأنها تبرز المعنى والطابع الذي يتسّم به النص. وتتضمن عملية الترجمة إجراءً هو التفسير، يردفه المترجم بمكمّلات معرفيّة تؤول به إلى إدراك المعنى. وعندما يقوم المترجم بتفسير المفردات والأقوال العائدة إلى النص المصدر، يستشف الدلالة السديدة التي تنبثق عن تحليل السياق المعرفيّ، وعن ما للفظة من دلالة ضمنية ومباشرة، وصولاً إلى مرحلة تحصيل المعنى التي "تقع بين محطة ما قبل الترجمة التي تقضي بفهم النص المصدر ومحطة الترجمة التي تقضي بإعادة التعبير عنه في اللغة الهدف، وتقوم هذه المرحلة على الانعتاق من الدلائل اللغوية وصولاً إلى استخلاص المعنى2." ولهذه الجداول أهميّة تعليميّة لأنها تبرز العلاقات القائمة بين المفاهيم، فلا ينظر إلى المفهوم ككيان مستقل، بل ينظر إليه من خلال علاقة النسب التي يقيمها مع مفهوم آخر.

أما الترجمة العربيّة فاستندت إلى المصدر الفرنسيّ مع العودة، عند الاقتضاء، إلى المصادر الأخرى من إنكليزيّة وإسبانيّة، وأوردت الطبعة العربيّة أربعة مسارد يدخل منها القارئ إلى المصطلحات العربيّة من باب اللغة التي يشاء، فهو مثلاً إذا توقف عند اللفظة traducción palabra por palabra في المسرد الإسبانيّ، وجد إحالة على الصفحة 52 التي يجد فيها المدخل العربيّ الخاص بالترجمة بالرصف مع مقابلاته في الإنكليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة.

وقد ارتكز فريق المترجمين إلى العربيّة على ثلاثة خيارات أوردها في مقدمة المترجمين: "أولها الأصالة، والمقصود بها أن تعيش أنت الترجمة، بما فيها من مفاهيم ومفردات، على غرار ما عاشه الأقدمون كعمليّة واحدة مستمرة من القديم إلى الحديث. أما الخيار الثاني المرتبط بالأول، فالتشبّع بأمهات الكتب، ونعني به التأكّد من أنّ اللفظة المقترحة تستمدّ جذورها من المتداول القديم. ويقوم الخيار الثالث على التعامل مع اللغة العربيّة على أنها الناقل الحيويّ القادر على أن يُعالج الترجميّة، هذا العلم القديم الحديث، وما يتّصل بها من إشكاليات ومفاهيم ومفردات[5]".

فاللغة " أياً كانت ليست بحاجة إلى أن تتسلّل إلى ديار جيرانها لتسبيَ لفظةً من هنا وتركيباً من هناك. فلو أكبّت على طاقاتها الذاتيّة لأنجبت من رحمها أبناءً لها وبنات ينمون تحت الشمس ويتغذّون، فتسري الحياة في عروقهم ويصبحون بدورهم قادرين على الإنجاب. ولو ارتحلت عبر الزمن إلى مفردات وتراكيب لها طواها النسيان لأيقظتها من سبات جمّدها مدى العصور وبعثت فيها حياة جديدة أو ضخّت من مسامها القديمة نفحاً من معنى مستحدث فأعادت لها نزق الصبا وألقتها في التداول من جديد".وبهذا نستعيد الطاقة الهائلة للمفردات التي تحتضنها العربيّة أو التي هي في مستودع بانتظار من يُخرجها منه ويضعها من جديد في التداول. ولعّل مفردة الخطل هي خير مثال على الأصالة والعودة إلى أمهات الكتب على حد سواء فالمفردة التي تدلّ على فساد الرأي، تُطلق أيضاً على السهام التي لا تُدرك هدفَـــها، وهي أفضل معادل لـــ faux sens وترجمته الحرفيّة المعنى المغلوط أو الخاطئ؛ أي المعنى الذي لم يبلغ

هدفه. فالمترجم الذي يرتكب خطلاً هو الذي يُفسد رأي المؤلف أو الذي يأتي بمعنى لا يُدرك فيه هدف المؤلّف.

ولا بدّ في مواكبة تعريب التعليم العالي من التوقّف عند التخصّص في المادة، ونعني به قيام مدارس ترجمة تكون بمثابة الخزان الذي يضخّ، في عمليّة التعريب الكبرى، مجموعات من المتخصّصين يسرّعون في عمليّة التعريب، فيأتي نتاجُهم مُتْقنا ملبيّاً للحاجات، يعكس تدريبهم الأكاديميّ الرفيع المستوى. ولا بدّ أيضاً من التوقف عند أهمية التدريب المتواصل الذي يأتي تكملة لا غنى عنها عن الإعداد الأساسيّ. فيواكب المترجم المتخرج والممارس تطور الترجميّة ويضع مفهوماً أساسيّاً يجب أن يتحلى به كل مترجم وهو تقبّله الدائم للتدريب والإطلاع، فعندما يبلغ المترجم حدّ الاكتفاء، يتقوقع على نفسه ويتقهقر نتاجه. ولمدرسة الترجمة - بيروت خبرة طويلة في الإعداد والتدريب المتواصل، تأمل عندما تضعها في تصرّف هذا المؤتمر الكريم أن تتبادل خبراتها مع الآخرين فيكون المردود خيراً يعمّ الجميع.

الحواشي

[1]-أسّس الأبوان اليسوعيان رولان مينيه ورينيه شاموسي مدرسة الترجمة - بيروت سنة 1980، وهي تُعدّ، خلال خمس سنوات بعد الشهادة الثانويّة العامة، المترجمين والتراجمة. وبوسع المترجم حائز الدبلوم، وبعد مزاولة المهنة ثلاث سنوات، أن يلتحق بقسم الدكتوراه في الترجمة الذي رأى النور سنة 1998.

[2]-أبو فاضل حينا، حردان جرجوره، عويس هنري، صادر الفعالي لينا. مصطلحات تعليم الترجمة، سلسلة المصدر الهدف، مدرسة الترجمة - بيروت، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2002، ص 184.

[3]- LADMIRAL, Jean-René, *Traduire : théorèmes pour la traduction*, 2ème édition, Ed.Gallimard, Paris, 1994 (1979), 282 pp.

[4]- ELISLE Jean, LEE-JAHNKE Hannelore et CORMIER Monique(dir.). *Terminologie de la traduction*, Publié sous les auspices de la FIT et de la CIUTI, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam, 1999, 434pp.

[5]-أبو فاضل، حينا.أطروحة دكتوراه في الترجميّة قيد الإعداد.

الملحق- 1-

- التعادل	Equivalence
هو علاقة تطابق في الخطاب بين وحدتي ترجمة في لغتين مختلفتين تؤديان الوظيفة نفسها.	
المثل.-	
Prière de refermer la porte derrière vous_	
⇦ الرجاء إغلاق الباب عند الدخول والخروج.	
الملاحظة.- ينبثق التعادل من تفسير بهدف إلى استخراج معنى النص المصدر، ويكون المترجم على موعد مع التعادل عند نقطة التقاء معرفته باللغة وكل ما يحوط النص من مستلزمات التواصل.	
1.راجع الترجمة الكتابيّة(2)	
2.هو نهج في الترجمة يقضي بنقل تعبير جامد في اللغة المصدر إلى تعبير جامد آخر في اللغة الهدف يعبّر عن الفكرة نفسها ولا ينقل المفردات بحرفيّتها.	
المثل –	
Chercher une aiguille dans une botte de foin	
⇦ البحث عن ذرّة تبر في طود من التراب.	
☜ الأقلمة، التقابل، المُرامزة.	
en :equivalence	
es : equivalencia	
de : Äquivalenz	

الملحق- 2-

عمليّة الترجمة			
	↓		
الدال	←	الدليل الألسني	→ المدلول
المناسبة	←	الخطاب/ النص	→ السياق
			المستوى
			الشبكة المعجميّة
	↓		
		التفسير	→ المكمّلات المعرفية
	↓		
		الدلالة السديدة	→ السياق المعرفيّ
			الدلالة الضمنيّة
	↓		الدلالة المباشرة
		تحصيل المعنى	
	↓		
		المعنى	
	↓		
		الترجمة الكتابيّة (2)	